



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK  
www.iraqieconomists.net

أوراق في المعرفة الاقتصادية

## فاروق يونس\*: حوار حول المجتمع المدني بين طالب فلسفة وخبير اقتصادي

طالب الفلسفة موجهها كلامه للخبير الاقتصادي: أستاذ، ما معنى المجتمع المدني؟

الخبير الاقتصادي: أقول، ببساطة، لدينا المجتمع البدوي ومقابله في اللغة العربية المجتمع المدني.

الطالب: أرجو مزيداً من التوضيح.

الخبير: المجتمع المدني مجموع المنظمات غير الحكومية التي يقوم نشاطها على العمل التطوعي الذي لا يستهدف الربح ولا تستند فيه العضوية على عوامل وروابط الدم والوراثة مثل الأسرة والعشيرة والقبيلة.

طالب الفلسفة: هل تقصد بان المجتمع المدني هو مجموعة التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة، أي بين مؤسسات القرابة ومؤسسات الدولة؟

الخبير: نعم. هذه التنظيمات التطوعية الحرة تنشأ لتحقيق مصالح افرادها او تقدم خدمات للمواطنين او لممارسة أنشطة انسانية متنوعة وتلتزم في وجودها ونشاطها بقيم ومعايير الاحترام والتواضع والتسامح والمشاركة والادارة السلمية.

طالب الفلسفة: ما هي مقومات المجتمع المدني؟

الخبير: للمجتمع المدني أربع مقومات اساسية هي: الفعل الارادي الحر او التطوعي وقبول التنوع والاختلاف بين الذات والآخرين وعدم السعي للوصول إلى السلطة.

طالب الفلسفة: لكن يبدو ان هناك اجتهادات متنوعة في تعريف مفهوم المجتمع المدني.

الخبير الاقتصادي: نعم ان مفهوم المجتمع المدني له تاريخ طويل ومميز في الفكر السياسي والممارسة في الغرب. وعلى الرغم من ان المجتمع المدني يعد جزءا لا جدال فيه من التقاليد



## أوراق في المعرفة الاقتصادية

الغربية فان معناه ومضامينه تنوعت بصورة هائلة على مر السنين في اطر تاريخية مختلفة ومن بلد إلى بلد. وفي حين ان المجتمع المدني مرتبط وجزء لا يتجزأ من التقاليد الغربية الواضحة، يستخدم المجتمع المدني، عادة، كمفهوم وصفي لتقييم التوازن بين سلطة الدولة من جهة والجمعيات والتجمعات الخاصة من جهة أخرى. فالشمولية مثلا تقوم على الغاء المجتمع المدني.

طالب الفلسفة: هل يقتصر المجتمع المدني على التطوع الفردي فقط بغرض تحقيق فائدة اجتماعية للناس او تكوين اتحادات مع اناس يشتركون في ممارسة رياضة او هواية مشتركة في اوقات الفراغ، أم يشمل ايضا حرية تأسيس شركات ومؤسسات اهلية للتجارة او الانتاج الصناعي؟

الخير: من واجبات الدولة بناء البنية التحتية، كالاهتمام بالمواصلات وتسيير السكك الحديدية والبريد لكن على سبيل المثال في النمسا والمانيا تتيح الدولة للأهالي انشاء شركات ومؤسسات تساهمية إلى أبعد الحدود. وفي الوقت الذي تقوم فيه الدولة بإنشاء المقومات الاساسية مثل بناء البنية التحتية وتشكيل السكك الحديدية والموانئ والبريد فهي تهتم ايضا بان تقوم الاجهزة التشريعية بتحديد العلاقة بين صاحب العمل والعامل والعمال. فمثلا، يقرر المشرع بان يكون التأمين الصحي للعامل وذويه من القصر مناصفة بين صاحب العمل والعامل؛ كما ينظم المشرع تأمين العامل ضد البطالة إذا ما ساء حال شركة ما واضطرت لتسريح بعض من عمالها، فالدولة هي التي تقوم بتحصيل تأمين البطالة من المنبع (اي من الشركة او المؤسسة) مباشرة.

طالب الفلسفة: يبدو ان هناك اجتهادات متنوعة في تعريف مفهوم المجتمع المدني تعبر عن تطور المفهوم والجدل حول طبيعته واشكاله وادواره.

الخير: نعم. فالمفهوم الشائع هو (المجتمع السياسي) الذي يحكمه القانون تحت سيطرة الدولة لكن المعنى الأكثر شيوعا هو تمييز المجتمع المدني عن الدولة بوصفه مجالا لعمل الجمعيات التطوعية والاتحادات مثل النوادي الرياضية وجمعيات رجال الاعمال وجمعيات حقوق الانسان واتحادات العمال وغيرها. اي ان المجتمع المدني يتكون مما أطلق عليه (ادموند بيرك Edmund Burk) الاسرة الكبيرة.

طالب الفلسفة: هل يمكن القاء الضوء على تاريخ الفكر السياسي الغربي او مفهوم المجتمع المدني بتوسع في إطار التقاليد الغربية؟



## أوراق في المعرفة الاقتصادية

الخير: سأشير هنا إلى ما ورد في كتاب (المجتمع المدني - النموذج الأمريكي والتنمية في العالم الثالث)، تأليف هوارد ج. وياردا Howard J. Wiarda ، ترجمة ليلى زيدان.

يقول في صفحة ١٤ (بالنسبة للإغريق القدماء، حيث كانت المعالجة المنهجية لهذا المفهوم، كان ينظر إلى المجتمع المدني على أنه كومونولث لمواطنين تجمعهم منظومة سياسية، وفي داخل هذا الكومونولث الذي تم تنظيمه على غرار المدينة-الدولة الإغريقية لا تشير كلمة (المدني) في عبارة المجتمع المدني إلى السلوك الطيب بل إلى متطلبات المواطنة: المعرفة والخطابة والمشاركة. وكان مفهوم المواطنة الصالحة بالنسبة لافلاطون مستندا على رغبته في إقامة قاعدة اخلاقية صلبة متدرجة من أعلى إلى أسفل للحياة العامة التي سيوضحها بملوكه-الفلاسفة؛ وبهذا، فإن المجتمع المدني يكون خاضعا لسلطة الدولة وللضروريات الاخلاقية الملزمة لقاداته المستنيرين افتراضا (ولكن غير المنتخبين). وعلى العكس من ذلك يرى ارسطو، تلميذ افلاطون ومذهبه أقرب إلى التجريبية، ان الحياة تتخذ مستويات متعددة من اشكال الروابط او التعددية (المجتمع المدني)، ودعا إلى ادماج هذه الروابط في الحياة السياسية حتى مع استمرار الالتزام بالمفهوم الاخلاقي للمواطنة. وهكذا نجد انه منذ تأسيس النظام الفكري الإغريقي لدينا مفهومان متعارضان للمجتمع المدني أحدهما مرتكز على الدولة وعلى التدرج من أعلى إلى أسفل وسلطوي وان لم يكن استبداديا والآخر أكثر تعددية ومشاركة وتشاوري. ولا ننسى انه في كلا هذين المفهومين القديمين على اية حال كان ينظر إلى المجتمع نظرة غير ديمقراطية وقائمة على التدرج الهرمي وبه طبقة عبيد (طبيعية) ومواطنة مقيدة.

وبالمثل، شجعت الامبراطورية الرومانية العبودية ورأت ان نظام المجتمع يقوم على اساس التدرج الهرمي والمواطنة المقيدة تقيدا شديدا ولكن كانت روما تحظى بتقدير في التقاليد الغربية بسبب اتباعها النظام الجمهوري فانه لا بد من الاعتراف بانه في ظل الامبراطورية الرومانية خرج إلى الوجود للمرة الاولى نظام شامل للكونبوراتية الخاضع للدولة؛ ونعني بالكونبوراتية نظاما تتبناه الدولة وتجزئه الدولة وتنظمه الدولة وجميعيات مصالح تسيطر عليها الدولة.

الطالب: ما معنى كلمة corporatism؟

الخير: هذه الكلمة في قاموس المصطلحات الاجتماعية للدكتور زكي بدوي تعني النزعة الطائفية المهنية التي تتمتع بقدر من حق سن قواعد تنظيم المهنة والسلطة التنفيذية على اعضاءها على غرار نظام الطوائف الذي كان سائدا في القرون الوسطى. وقد زادت اهمية هذه النزعة في ايطاليا الفاشية حيث قامت بتنظيم النظام الاقتصادي في مؤسسات مهنية تابعة



## أوراق في المعرفة الاقتصادية

للدولة. كما كانت ترى ان مثل هذا النظام يوفر مزيدا من مؤسسات التمثيل السياسي، إلا ان المؤسسة المهنية لم تكن في الواقع سوى ادوات لسياسة الدولة او بمثابة وكالة ادارية لها، ويجب الا تخلط المؤسسة المهنية الفاشية بمؤسسات الاعمال الامريكية او البريطانية والتي يعبر عنها بكلمة corporation (الترجمة ليلي زيدان).

الطالب: متى بدأ المفهوم الامريكي للمجتمع المدني؟

الخبير: يذكر هوارد ج. وياردا في كتابه آنف الذكر انه مع جون لوك John Locke بدأنا نصل إلى المفهوم الحالي للمجتمع المدني غير انه من المهم التأكيد بداية على ١- ان مفهوم جون لوك كان واحدا فقط من المفاهيم الكثيرة في التقاليد السياسية الغربية. ٢- ان بعض المناطق (جنوب وشرق اوروبا وامريكا اللاتينية) تختلف او كانت قد استقرت بالفعل على تقاليد (طومسون وسواريز) التي لا تلتزم بفلسفة لوك. و ٣- اننا لم نبدأ بعد في الحديث عن المفاهيم غير الغربية للمجتمع المدني. وعند لوك، على العكس من هوبز، كان المجتمع المدني عملا طوعيا وفرديا (وليس عملا جماعيا) وبالمشاركة (لم يوجد ولا يتحكم فيه الملك او الدولة) ويتسم بديمقراطية وليدة ويشكل اساس المجتمع المدني عن طريق الملكية الفردية (الممتلكات بتعبير لوك) وحكم القانون والمشاركة الديمقراطية، وتضامنت معا جماعات المجتمع المدني طوعا للحد من الحكم المطلق وللحفاظ على الحرية والنظام والممتلكات.

ورغم ان لوك كان اهم واضعي النظرية السياسية في التقاليد الانجلو - امريكية غير ان هناك تقاليد ومفاهيم اخرى عن المجتمع المدني ظهرت في القارة الاوربية. فلدينا من ناحية مونتسكيو Montesquieu القريب من التقاليد الانكليزية الارستقراطية الذي نادى بدستور متوازن وفصل السلطات وحدود للسلطة الملكية المطلقة. والأهم بالنسبة لأهدافنا الدفاع عن الجمعيات الوسيطة التي ساعدت على تقوية مفهوم جيمس ماديسون ( James Madison) في الدستور الامريكي الذي يوازن بين الحد من المجتمع المدني والتعددية.

ومع توكفيل Tocqueville فإننا نعود الان إلى الولايات المتحدة وربما إلى التعبير النموذجي عن الافتتان الامريكي والرومانسية والسياسات المتعلقة بالمجتمع المدني (التي اصبحت رسمية حاليا) كان الكس دي توكفيل Alexis de Tocqueville مفكرا وارستقراطيا فرنسيا زار امريكا في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر والذي يعد كتابه (الديمقراطية في امريكا Democracy in America) على مستوى العالم واحدا من أفضل (ان لم يكن أفضل) تحليل للمجتمع والسياسات في امريكا كتب حتى الان. وكان من أكثر ما ترك اثرا في هذا الزائر اللماح تلك القوة الهائلة للجمعيات الوسيطة او المجتمع المدني في أمريكا، تلك الجماعات التي تقف في



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK  
www.iraqieconomists.net

## أوراق في المعرفة الاقتصادية

المنتصف بين الفرد وبين الدولة والتي تعمل كأجهزة انتقال لتوصيل هموم المصالح الخاصة إلى متخذي القرارات في الحكومة ثم العودة مرة أخرى إلى القاعدة الجماهيرية كمنفذين للسياسة العامة مما يساعد في التوسط بين الدولة والمواطنين وتقوم بدور أيضا للتعبير عن المشاعر الشعبية وكقيود على الحكومة الاستبدادية.

طالب الفلسفة: شكرا جزيلا.

الخبير: اشكرك.

انظر ايضا مقال الدكتور عبد الحسين شعبان، "مفهوم المجتمع المدني بين التنوير والتشهير"، منشور على الانترنت.

(\*) كاتب وباحث اقتصادي، خبير سابق في غرفة تجارة بغداد.

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى

المصدر. 2019/5/29

<http://iraqieconomists.net/ar/>